الكبير(المتوسط)، وهي مفصولة من جهة الجنوب ، بوساطة الصحراء عن جبال العربية ومصر، ويحدها من جهة الشرق نهر الأردن، ويتاخمها في الشمال السامرة وأدوم، وتتكون اليهودية من الجبال في معظم أجزائها، وترتفع حول المدينة المقدسة على شكل سلاسل عالية، منحدرة من جميع الجهات إلى حدودها المتقدمة الذكر، وكأنما ينزل المرء منهم إليها، وهذه الجبال في الوقت نفسه وعرة وكثيفة بصخورها القاسية، وهي مزينة من جهة أخرى بصخور موائمة جداً ليقتطع منها حجارة مربعة منحوتة صالحة للبناء، وهذه الحجارة في أماكن أخرى جميلة بألوانها البيضاء، والحمراء، والرخام المنوع، وكل بقعة وجدت بين هذه الصخور الكثيفة أرضاً صالحة للزراعة استخدمت لإنتاج كل نوع من الثمار، وهكذا رأينا الروابي والجبال مغطاة بالكروم، وغراس أشجار الزيتون، وأشجار التين، والوديان مليئة بالقمح وبمنتوجات الحدائق.

٣ــ القدس. وادي شعفاط وجهنم. جبل البهجة(جبال الجودي). قبرشعفاط. وضع المدينة المقدسة. تحصيناتها. أبوابها. شوارعها. بيوتها. بركها. أخشابها.

تقوم مدينة القدس على ذروة هذه الجبال وهي محدودة بكل من شعفاط وجيروم، وتعد مدينة القدس هي الأقدس والأشهر بين المدن الأخرى والأماكن في جميع أنحاء العالم، وهي ليست مقدسة بنفسها، أو تقدست بنفسها، لكنها تقدست وتمجدت بحضور الرب نفسه فيها، وبحضور مولانا يسوع المسيح وبحضور أمه المقدسة، ولأنه وجدت فيها عقيدة، ودعوة، وشهادة الآباء، والأنبياء، والرسل والرجال المقدسين الآخرين، ومهما يكن من أمر هي مطوقة بشعاب جبلية أعلى منها نفسها، ثم إنها هي نفسها مدينة مرتفعة، لأنها مبنية فوق جبل، ومن هنا إنها تجذب أنظار الذين يتطلعون إليها من جميع الجبال التي تحيط بها، ويقوم الآن فيما بين جبل موريا، الذي يقع عليه هيكل الرب، وبين جبل

الزيتون، الذي تـرتفع قمته فوق كل الجبال الأخـرى، بركة قدرون، ووادي شعفاط، وهـو وادي يبدأ مـن جبل البهجـة(جبال الجودي)، ومـن هناك يدخـل الانسان إلى المدينـة من الجانـب الشمالي، فيمر بكنيسـة القديسـة مريـم، التي حملـت اسمها منها، ثـم يمر بقبر شعفـاط، ملك اليهـودية، فمـن موتـه نـال هـذا المكان اسمـه، ثـم يمـر قريبـاً مـن بـركة سلـوان للاستحمام، حيـث هناك واد آخـر يلتقي بـه، ويعطف هـذا الوادي مجراه من عنـد زاوية المدينة الجنـوبية، فيجتـاز البركة الجديدة القـائمة فيما بين جبـل صهيون وحقـل الفـاخوري، وبـذلك يحتضـن طـرفين من أطـراف المدينـة بمجرى عميـق جداً، ويقـوم قبر شعفاط في وسـط هذا الـوادي، وهو مبني من حجارة مربعة على شكل هـرم، ويوجد حوله عدد كبير من القـاطنين من عبيـد الـرب، أو النساك، وكلهـم تحت رعـايـة راعي ديـر القديسـة مريم، هـذا وأطول قسم مـن المدينة هو الممتـد من الشمال إلى الجنوب والقسـم الأعرض هو الممتـد من الغرب إلى الشرق، وهـي محصنة بأسـوار وبحصن على قمـة الجبل القـائم فوق الـوديان المتقـدمة الـذكر، وهناك حـاجز أو خندق موجـود خارج الأسوار، مزود بشرافـات وفتحات رمايـة، يدعـونها«حصن أمـامي»، وللمـدينة سبعـة أبواب، يغلقـون منها بإحكـام ستة كـل ليلة مـن حلول المسـاء حتى إشراق الشمـس، والباب السـابع مغلـق بجـدار، ويفتح فقـط يوم أحـد السعـف، وفي يوم تمجيـد الصليب، وللمدينـة شكل المستطيل، ولها خمس زوايا، إحداهـن عريضة، وشوارعها جميعاً مبلطـة بالحجارة، وهي مقنطرة، مخروقة بكثير مـن النوافذ من أجـل مرور الإضاءة، وتـرتفع البيوت بـوساطـة حجارة مصنعة بـدقة وعناية، ولكنها لاتنتهي بسقف«جملوني» حسـب طرائقنا، بل هي مستوية ومسطحة الشكل، ويتـولى الناس جمع مياه الأمطار التي تتسـاقط عليهم، ويتولـون تخزينها، بصهاريـج لاستخداماتهم الـذاتية، ولايستخدمـون ماء آخر، لأنـه لا يوجد لـديهم، والأخشاب صـالحة للبناء وللنار، وهـي نادرة هنـاك، لأن جبل لبنـان هـو الجبل الـوحيـد المليء بأشجـار الأرز والسرو،

والصنوبر، وهذا الجبل بعيد عنهم، ولايمكنهم الوصول إليه خوفاً من هجمات المسلمين .

٤ — برج داود. جبل صهيون وجبل موريا. حقل الفاخوري. جبل جبعون. بيت بيلاطس. أنطونيا.

كان برج داود ملكاً لملك القدس، وهو متفوق الحصانة، حيث بني بحجارة مربعة ذات حجم هائل، وهو قائم قرب الباب الغربي، ومنه يقود الطريق إلى بيت لحم، وإلى جانبه ومعه القاعة الجديدة البناء والقصر الملاصق له، وهو محصن بشدة بخنادق وسواتر دفاعية، وهو قائم على جبل صهيون، ولهذا نقرأ في سفر الملوك«استولى داود الآن على صهيون»، وهو قائم متوضع في مواجهة هيكل الرب، في جزء المدينة الممتد جانبياً، حيث أن جبل صهيون موجود على اليسار، وجبل الزيتون في الشرق، ويمتد جبل صهيون من البرج حتى كنيسة القديسة مريم، لكن بدون الأسوار، ومن الكنيسة تقريباً حتى قصر سليمان، وإلى الطريق الذي يؤدي إلى الباب الجميل إلى البرج، وهو هنا أعرض، غير أنه أكثر انخفاضاً من جبل الزيتون، ومع أن جبل موريا المطل على وادي شعفاط، والذي يقوم عليه هيكل الرب وقصر سليمان، يمكن أن يظن أنه رابية عالية، مع هذا إن جبل صهيون أعلى منه بأكثر مما هو متصور، وكما قيل من قبل حتى أنه يطل على وادي شعفاط، ويوجد في حقل الفاخوري، المفصول عنه بوساطة الوادي المذكور، مقبرة الحجاج، وفيها تقوم كنيسة القديسة مريم، أي العذراء أم الرب، وفيها أيضاً دفن في يوم أحد سعف النخيل المقدس، أخانا المعروف باسم أدولف، وهو من أهالي كولون، ويطل على هذا الوادي جبل جبعون، الذي جرى عليه تتويج سليمان، وذلك حسبما نقرأ في سفر الملوك.

وفيما يتعلق بالأبنية الأخرى سواء العام منها أو الخاص، لم نستطع العثور على أي أثر، أو لنقل على قليل جداً، وذلك باستثناء بيت

بيلاطس، قرب كنيسة القديسة حنة، أم سيدتنا، وهي قائمة قرب بركة الضأن، ومن جميع الأبنية التي يخبرنا يوسفيوس أنها بنيت من قبل هيرود، لم يبق الآن شيء منها، وهي جميعاً قد هدمت تماماً وذلك باستثناء جانب واحد مايزال قائماً في القصر الذي عرف باسم أنطونيا، مع باب موجود في الخارج قرب باحة الهيكل.

٥ــ *كنيسة الضريح المقدس، وبداية البيعة التي فيها .*

وهكذا إن المتبقي علينا هو وجوب الحديث عن الأماكن المقدسة، التي بسببها دعيت المدينة نفسها بالمقدسة، ولقد رأينا أن علينا أن نبدأ مباشرة بقدس الأقداس، أي أن ننطلق من الضريح المقدس للرب، وكنيسة الضريح هي أجمل بناء وأروعه، ومعروف أنه تأسس من قبل الامبراطورة حنة، وبما أن الجدار الخارجي جاء على شكل الدائرة فقد جعل ذلك الكنيسة نفسها دائرية، ويحتل ضريح مولانا النقطة المركزية في الكنيسة، وشكله هو شكل البيعة التي بنيت فوق الضريح نفسه، وهو مزين بشكل جميل، ومغلف بالرخام، وشكله ليس شكل دائرة كاملة، بل ينطلق من محيط الدائرة جداران منخفضان باتجاه الشرق، ويلتقيان بجدار ثالث، وتحتوي هذه الجدران على ثلاثة أبواب، بعرض ثلاثة أقدام وبارتفاع سبعة أقدام، وينفتح واحد منها على الشمال، وآخر على الشرق، وآخر على الجانب الجنوبي، ويتم الدخول بوساطة الباب الشمالي، ويكون الخروج بوساطة الباب الجنوبي، أما الباب الشرقي فمفرد لاستخدام حراس الضريح.

ويوجد بين هذه الأبواب الصغيرة الثلاثة، والباب الرابع الذي يمضي منه الانسان إلى الضريح نفسه، مذبح، مع أنه صغير له قداسة عظيمة، فعليه ـ كما قيل ـ جرى تمديد جسد مولانا من قبل يوسف ونيقوديموس، زيادة على هذا، يوجد فوق الفتحة الفعلية لمدخل هذا الضريح، القائمة خلف المذبح صورة هذين الرجلين نفسيهما مصنوعة من الفسيفساء وهما

يضعان جسد مولانا في القبر، مع مولاتنا أمه واقفة جانباً وكذلك المريمات الثلاث اللائي نعرفهن معرفة جيدة من الانجيل، وذلك مع وعاء عطر، ومع ملك أيضاً، جالساً فوق الضريح، وهو يزيح الحجر قائلاً:«انظروا ها هو المكان الذي مددوه فيه، وبين الفتحة والضريح نفسه خط ممتد أخذ شكل شبه دائرة، تحتوي على هذين البيتين من الشعر:

«يشهد المكان والحارس على قيامة المسيح»

«وأقمشة الكتان ، والملاك، والفداء»

وقد صورت هذه الأمور جميعاً ضمن عمل فسيفسائي رائع، وبهذا العمل جرى تزيين البيعة الصغيرة، ولكل واحد من هذه الأبواب بواب حريص، لايسمح بدخول أقل من ستة رجال دفعة واحدة، وليس أكثر من اثني عشر رجلاً، ذلك أن المكان ضيق جداً ولايمكنه استيعاب عدد أكبر، وبعد قيامهم بتعبداتهم يرغمون على الخروج عبر باب آخر، ولايمكن لانسان أن يدخل إلى فتحة الضريح نفسه إلاّ زحفاً على الركب، وبعبوره للفتحة يجد أثمن الكنوز المرغوب بها، وأعني بذلك الضريح حيث تمدد مولانا يسوع المسيح — الأعظم نعمة — لمدة ثلاثة أيام، وهذا الضريح مزين بشكل رائع بوساطة الرخام الأبيض والذهب والحجارة الكريمة، ويوجد على الطرف ثلاث فتحات، يمنح فيها الحجاج المتشوقين جداً، قبلاتهم، إلى الصخرة نفسها التي تمدد عليها مولانا، والتي مساحتها قدمان ونصف القدم بالعرض، وطولها بمقدار ذراع رجل واحد من المرفق، وقدم واحدة أيضاً، والأرضية فيما بين الضريح نفسه والجدار واسعة بما فيه الكفاية لاستيعاب خمسة رجال يقومون بالصلاة وهم جاثين على ركبهم، ورؤوسهم معطوفة باتجاه الضريح، وهناك خارج هذا المبنى سلسلة مكونة من عشرة أعمدة، تشكل مع الأقواس التي تدعمها ساحة مستديرة مغلقة، وتحتها قاعدة

تحتوي على النقش المحفور التالي، المذهبة أحرفه:«قام المسيح من الموت، ولن يموت ثانية، وليس للموت سلطان عليه بعد الآن. لأنه في ذلك قد عاش، قد عاش مع الرب»، وعند رأسه الذي أدير باتجاه الغرب، يوجد مذبح مطوق بجدران فاصلة، وأبواب، ومزاليج من الحديد، مع شعرية من الخشب القبرصي، مزينة بمختلف الألوان، وبسقف من النوع نفسه، ومزين بالطريقة نفسها، وهو قائم فوق الجدران، وسقف العمل نفسه مكون من ألواح من النحاس المذهب، مع فتحة مستديرة في الوسط، يقف من حولها أعمدة صغيرة على شكل دائرة تحمل قناطر صغيرة فوقها، وهي تدعم سقفاً على شكل كأس، ويوجد فوق السقف نفسه صليب مذهب، وفوق الصليب حمامة مذهبة أيضاً، ويتشكل بين كل عمودين في الدائرة قوس، معلق في وسطه مصباح، وبالطريقة نفسها معلق أيضاً مصباحان بين كل من الأعمدة المنخفضة حول الدائرة كلها، وحول كل قوس من الأقواس المنخفضة، كتبت أشعار، بعضها فوق بعض الأقواس لم نكن قادرين على قراءتها، لأن لون الطلاء كان باهتاً، وكنا قادرين فقط على قراءة ستة بشكل واضح، وقد كتبت فوق ستة أقواس:

تمدد في هذا الضريح

الذي تولى صنع هذا العالم:

أنت يا من ترى ضريحه

أسرع لتكون

هيكلاً يلبي حاجتي.

حمل الرب بارك!

الآباء القدماء

- ٢٦٥٢ -

متشوقون هنا في مرقدهم

إليه لرؤيته.

طلع في عفراتا Ephrata

عانى في الجلجلة

هو من فراشه الصخري

قاد أبانا آدم،

فرفعه عالياً

وقهر فنون الشيطان وألاعيبه

وقال للقلوب الغارقة:

«انهضي، إنه أنا»!

وأيضاً حول الاطار الحديدي الذي ـ حسبما قلنا من قبل ـ هو موضوع عند رأس الضريح، والذي فوقه شعرية حجرية، يوجد مدرج مكتوب عليه يحتوي الأبيات التالية:

«إنه هنا تمّ نيل النصر على الموت

وبدأت الحياة من أجلنا

إلى الرب جرى تقديم الأضحية المرضية،

وسقطت الضحية،

وعن ذنوبنا عفي

وكانت هناك بهجة في السماء

وحزن وأسى في جهنم

ولقد انتهى العهد القديم

وأرسل الله عهداً جديداً

ونعلم من هذا، أيها المسيح، الذي نزف دماً هنا،

أن الأرض هذه مقدسة، التي عليها نمشي»

٦ — *الكنيسة أو المبنى المستدير نفسه*

لقد تم رصف بلاط هذه الكنيسة بشكل جميل جداً، وقد رصع بالخزف وبمختلف أنواع الرخام الملون، وتستند الكنيسة في الأسفل وترتفع على ثمانية أعمدة مربعة، مما يدعى باسم سواري، وستة عشر عموداً حجرياً مفرداً، لكن بما أنها مقنطرة في الأسفل والأعلى، هي بالأعلى تشبه الكنيسة في أكس لاشابيل، فهي مدعومة بالطريقة نفسها، وهي مرفوعة على ثماني سواري، وستة عشر عموداً، والاطار المحيط بالكنيسة كلها، مغطى بنقوش كتابية بالأحرف الإغريقية، ويتلألأ وجه الجدار القائم بين الاطار الوسطي والاطار الأعلى بفسيفساء لامثيل لها بالجمال، ومن الممكن من هناك من أمام شرفة جوقة المرتلين، أي فوق قوس المعبد ، رؤية جسد يسوع وقد صنع من الفسيفساء نفسها، لكن ذلك صناعة قديمة، وقد رسم بألوان براقة، وذلك حتى السرة، مع وجه هو الأكثر جمالاً، وقد وقفت إلى يساره أمه، وإلى يمينه جبرائيل رئيس الملائكة، وهو يتفوه بالتحية المعروفة جداً:«سلام يا مريم، المليئة بالنعمة، الرب معك، باركك بين النساء، وبارك ثمرة رحمك»، وقد كتبت هذه التحية في كل من اللاتينية والاغريقية حول المولى المسيح نفسه، ويوجد بعد هذا، على طرف اليمين الحواريون الاثني عشر، وقد جرى رسمهم في وصف متسلسل في الفسيفساء نفسها، وقد رفع كل منهم يديه شكراً للمسيح بكلمات تشير إلى الأسرار المقدسة، وفي وسطهم ، وفي موضع خاص مجوف قليلاً داخل الجدار، جلس في أبهة ملكية الامبراطور

قسطنطين، وهو يرتدي اللباس الملكي Trabea، ذلك أنه هو ووالدته حنة قد أسسا الكنيسة، وهناك أيضاً خلف الرسل رئيس الملائكة ميكائيل وهو يتلألأ بأشعة رائعة، ويتبع هذا على اليسار صف فيه ثلاثة عشر نبياً، كلهم قد أداروا وجوههم نحو الطفل الجميل، وتوجهوا إليه بالخطاب بكل احترام، حاملين في أيديهم نبواتهم التي أوحي لهم بها في القديم، وجلست في وسطهم الامبراطورة حنة المباركة، في مقابل ابنها، وهي تتلألأ بشكل مجيد، ويرسو فوق الجدار نفسه سقف من الرصاص، مستند على عوارض خشبية قبرصية مائلة، وفي وسط هذا السقف فتحة دائرية كبيرة، يدخل من خلالها الضوء من الأعلى، وينير الكنيسة كلها، لأنها لاتمتلك نافذة أخرى مهما كان نوعها.

٧— *شرفة جوقة الرهبان النظاميين*

زيادة على هذا، هناك إلى جوار هذه الكنيسة، معبد، أو قدس الأقداس، وهو عمل فني رائع، وقد بني بالتتابع من قبل الفرنجة، الذين يغنون هناك بشكل جميل جداً أغان الشكر والمدح، في خلال كل من النهار والليل، أو أن تقول خلال الساعات النظامية، وفقاً لطريقة العذراء مريم، وفي أيديهم أوقاف كنسية، ومخصص لهم نصف التقدمات إلى الضريح المقدس بمثابة دخل، بينما جرى تخصيص النصف الآخر لاستخدامات البطريرك، وجرى تكريس المذبح العلوي على اسم مولانا ومخلصنا وعلى شرفه، ويوجد خلفه كرسي البطريرك، الذي علّق فوقه من قوس المعبد، صورة كبيرة مزينة لسيدتنا، وصورة للقديس يوحنا المعمدان، وصورة ثالثة لجبرائيل المقدس الذي كان إشبينها، وجرى في السقف الداخلي تمثيل مولانا يسوع المسيح، وهو ممسك صليبه بشماله، وحامل آدم بيمينه، وهو ينظر بأبهة ملكية نحو السماء، وقد رُفعت قدمه اليسرى في خطوة هائلة، بينما ظلت قدمه اليمنى مستندة على الأرض، وقد فعل ذلك وهو يدخل إلى السماء، وتبع هذا وقوف أمه، والقديس